فى التربية والتعليم

نظرة فى علم التربيـــة

بقلم العلامة الاستاذ محمد فريد وجدى

لكل علم أصل من الطبيعة ، وتاريخ فى أدوار التطورات ، ومجال يعمل فيه ، وينبوع يستمد مادته منه ، وغرض يرمى اليه . فعلم التربية من أشرف العلوم وأجدرها بالعناية لأن موضوعه تولى الانسان من يوم ميلاده بالتقويم والتثقيف ليتشأ على أكمل الحالات الطبيعية حاصلا على جميع خصائصه العقلية والخلقية والجسدية ، بحيث يتأدى فى أدوار وجوده الى أبعد الغايات التى قدرت لأن يبلغها الآحاد من نوعه . لذلك نشأت باكورة هذا العلم مع الانسان نفسه ، وعرفت الحاجة اليه من أقدم عهود الانسانية . فكان فى أول وجوده لا يعدو البسائط التجريبية التى يهتدى اليها البشر فى أحط حالاتهم . ثم تدرج وترقى يسيراً يسيراً فى كتابات المفكرين وعلى ألسنة المعلمين والمربين ، حتى تميز عن بقية المحاولات العقلية ، وان كان لم يبلغ أن يكون علماً قائماً بنفسه الا فى القرون الأخيرة ، ولا يزال فى حاجة الى المواد التى لابد منها لكماله بذاته وجعله علماً من العلوم اليقينية .

وسبب الصعوبة فى ذلك ارتكاز هذا العلم على كثير من العلوم ، وعدم بلوغ أكثرها درجة الكمال . فبقى فن التربية الى اليوم فى حيز المسائل التى ينقسم فيها الناظرون الى مذاهب شتى .

قلنا ان هذا العلم قديم بموضوعه ، وانه لم يستقل بنفسه إلا فى العهد الأخير . فقد كتب فيه أفلاطون ولكن فى أثناء بحوثه الاجتماعية فى كتابه « الجمهورية » . وقد زاد تلميذه ارسطو مسائله نوراً ويرجع الفضل فى ذلك الى تعمقه فى دراسة الطبيعة الانسانية . وجاء كلامه عنه مختلطاً ببحوثه الاجتماعية والسياسية كسلفه

وفى عهد ازدهار الفلسفة اليونانية كان علم التربية فصلا من فصولها ، فسرى عليه ماسرى عليها من الخلافات المذهبية . ولم تستقل « البيداجوجيا » عن غيرها من المباحث إلا فى هذه القرون الاخيرة ، حيث تميزت مناطق النشاط العقلى ، وانقطع كل فريق من الباحثين لدراسة فرع من الفروع العلمية .

فى هذا العهد الاستقلالى كانت البيداجوجيا تتابع وجهات علم النفس ، وتترسم خطواته . وكان موضوع هذا العلم كما لايخفى نفسية الانسان البالغ أقصى نموه . ولكن

البيكولوجيا في العهد الاخير أخذت تعنى بدرس الخصائص الانسانية الكبرى باعتبار انها مشتقة من خصائص صغرى صحبت الطفل من يوم ميلاده ، فما كشفت البيداجوجيا من وراء هذا التحول مجالا بعيد المدى في الطبيعة الانسانية بمفاجأة خصائصها وهي لاتزال على حالة براعم لم تتفتح بعد.

قلما نبغ (داروين) صاحب مذهب النشوء والارتقاء الذي نوراً ساطعا على البيداجوجيا بكثرة مباحثه في منشىء الميول والطباع والغرائز الحيوانية ، فربحت البيداجوجيا من وراء ذلك مدداً لا ينضب ، وأصولا تمتد الى أبعد مما كان يتخيله الناظرون . فنقل العلامة (برير) Preyer هذه المباحث الفسيحة الى المانيا ، وأخذ في درسها ونشرها ، ومن هنالك انتقلت الى فرنسا وامريكا . فكثرت مواد علم التربية وتعددت مذاهب الباحثين فيه مستندة الى مشاهدات علمية .

فبدأ هذا الدور بدراسة الطفل دراسة غير مباشرة من الذين يتولونه في حياته الاولى كالآباء والمعلمين ، ومن الذين يتتبعون حياة العظماء ويدرسون حالاتهم في أدوار نشوئهم . ثم انتقلت هذه الجهود الى دراسة الطفل دراسة مباشرة من يوم ميلاده ، وتدقيق النظر في جميع أحواله ، وتتبعه في دور الدراسة مجتمعاً الى أمثاله . فاجتمعت من هذه البحوث معلومات كثيرة على ميول الاطفال وغرائزهم ومحاولاتهم وعلى الصفات التي تبدو عليهم في اجتماعاتهم ومنازعاتهم وممازحاتهم ، ولا تزال الجهود مبذولة في هذا السبيل بقصد الوصول الى أصول القوى الأدبية التي تعمل فيهم ، ودراسة أحوالها حين نشوئها وحين تطورها ، والعوامل التي تقويها وتضعفها ، والاسباب التي تحولها الى اخلاق ومنازع وطباع ، ومعرفة ما يقبل التقويم منها وما لا يقبله ، وعلل هذا القبول وذلك الاستعصاء .

كل هذا للوصول الى الوسائل الفعالة للتحكم في تلك الغرائز وقيادتها قيادة صالحة ، ولوضع أساليب للتربية تؤدي الى نتائج ثابتة .

فالناظر في هذا الجهد الجهيد ، وفي المدى الواسع الذي يعمل فيه من الطبيعة البشرية يدرك أن لا بد من مرور قرن أو قرنين قبل أن تصبح البيداجوجيا علما بالمعنى الذي يسعه هذا الاسم ، ويرضى به جمهور الباحثين فيه .

ولكي لا يستكثر القارئون هذا الزمن ، نبين لهم البرنامج الذي يعمل على موجبه الباحثون في هذا العلم ، فهو يقضي بأن يدرس الطفل في ذاته وفي أحوال أبويه واجداده . ولا يجوز أن يقتصر على دراسة الطفل في بيئة واحدة ، ولكن في بيئات مختلفة ، ولدى الشعوب المتباينة في درجات الثقافة ، ولدى الجماعات المتوحشة . وكذلك لا يجوز أن يقتصر على دراسة الاطفال الكاملي الخلقة ، ولكن على ناقصيها أيضاً ،

وعلى المحرومين منهم من إحدى الحواس أو حاستين فأكثر ، وعلى المجرمين والمنحرفين وشأنهم والمشردين منهم الخ . . .

كل هذا لا يكون إلا بتولى هذا الكائن عندما يكون جنينا وطفلا ، وبالنظر فى تركيب جثمانه ووظائف أعضائه ، وتحليل شعوراته واحساساته وانفعالاته وارادته ولعبه ولهجته ، وغير ذلك من ثمرات نشاطه .

فدراسة هذا كله يرتكز على مجموعة من العلوم يعسر تواقرها فى رجل واحد ، وهذا كله لا يكفى فى جعل علم التربية منتجاً الثمرات المنتظرة منه ، ولا يقرب بين الانسان ومثله الأعلى الا اذا عرف من هذه العلوم مجتمعة كنه الطبيعة الانسانية ، وحقيقة الغاية التى خلق الانسان ليبلغها .

فاذا كان هذا العلم من الصعوبة فى هذه الحال ، ومن النقص الى هذا الحد ، فلا يجوز مع هذا أن يزدرى به ، وأن لا يستفاد مما وصل اليه من النتائج المحققة ، فاذا كانت لم توجد بعد بيداجوجيا على ما يتمناه العلماء ، فانه توجد بيداجوجيا وقتية نتجت من الفطرة السليمة ومن تأملات وبحوث رجال فضلاء وصلوا الى معارف قيمة فيها ، طبقت فى البيوت ومعاهد التعليم على الأطفال فأثمرت ثمرات طيبة فيهم ؟

محمد فريد وجدى

التدبير المنزلى

سنعد بابا فى الاعداد القادمة للتدبير المنزلى ، وحضرات المعلمات خير من يجدن الكتابة فى هذا الموضوع . فنرجو من حضراتهن أن يتفضلن فيرسلن الى إدارة الصحيفة كل ما يرون نشره ولهن وافر الشكر وجزيل الحمد

الهموم والشهباء

لقد عجمتنى الحادثات فلم يلن ... عجس على بؤس الحياة وعلس
أخوض الخطوب السود غير منكب ... وألقى المنايا الحمر غير معبس
ولم تخذلنى فى مشهد الميتى ... ولا عانى رأى وصدق تفرسى
متى ما أقل قولا فلست بكاذب ... أصادى به نفعاً ولا بمدلس

احمد محرم